Biannual Scientific Journal *Current Studies in Nahj-ul-Balaghah*.

Vol. 5, No. 1, (Issue 9) Autumn & Winter 2021; pp. 31-43

فصلية علمية ـ محكمة نصف سنوية. *دراسات حديثة في نهج البلاغة*. السنة الخامسة، العدد الأول (المتوالي ٩)
خريف و شتاء ١۴٠٠ش/ ١٤٤٣ق. من صفحة ٣١ الى ٤٣

Original Research مقالۀ پژوهشی

تحليل مبادئ العمل الأخلاقي (الإدراك والشوق والعزم) من منظور نهج‌البلاغة

مهدي زماني

تأريخ الاستلام: ١٤٤١/١١/١٤ **تأريخ القبول: ١٤٤٢/١٠/٢٠**

أستاذ الفلسفة المشارك بقسم اللاهوت، بجامعة بيام نور، طهران، إيران

Analysis of the Principles of Moral Action (Cognition, Enthusiasm and Determination) from the Perspective of Nahj -ul-Balaghah

Mehdi Zamani

Received: 2020/07/06 **Accepted: 2021/06/01**

Associate Professor of Philosophy, Department of Theology, Payame Noor University, Tehran, Iran

10.30473/ANB.2022.53943.1216

الملخص

في هذا المقال تمت دراسة مبادئ العمل الأخلاقي في نهج‌البلاغة بالطريقة الوصفية التحليلية. ويمكن تلخيص مبادئ العمل الأخلاقي أو عملية إصداره من وجهة نظر الفلاسفة في ثلاث مراحل وهي: ١. الإدراك (التصور والتصديق)، ٢. الإحساس (الشوق)، ٣. الإرادة (الشوق المؤكّد والعزم والإجماع) في نهج‌البلاغة، وتم ذكر البصيرة في العمل ونتائجه كمرحلة أولى من هذه العملية، أي الإدراك. وتشمل المرحلة الثانية لإصدار الفعل الأخلاقي أمور عاطفية كالشوق والخوف والميل والرغبة والحب، والمرحلة الثالثة هي العزم والتصميم والإرادة في نهج‌البلاغة فبناءً على هذه المبادئ الثلاثة تم تحديد طرق تحقيق العلم بعواقب الفعل وطرق تحقيق المشاعر الأخلاقية وكذلك طرق تقوية القوة الباطنية للتصميم والعزم والإرادة. فإن الاهتمام بالفصل بين هذه المبادئ ومراحل إصدار الإجراءات في الأمور الأخلاقية والدينية مثل التوبة والتقوى والصبر والزهد وغير ذلك، يمكن أن يوضح طريقة تحديد العوائق المختلفة التي تشرح تحقيق العمل الصالح (الفعل الأخلاقي) وطريقة القضاء عليها وتحضير إستراتيجيات تربوية لتقوية الإدراك والشوق والعزم وتصحيحها، ولذلك تفسيرها ضروري.

الكلمات الدليلية: مبادئ العمل الأخلاقى، الإدراك، الشوق، العزيمة، نهج‌البلاغة.

Abstract

In this article, the principles of moral action in Nahj al-Balaghah have been studied by descriptive-analytical method. The principles of moral action or the process of issuing it from the philosophers' point of view can be summarized in three stages, which are: 1- cognition (perception and affirmation), 2- feeling (passion) and 3- will (emphatic passion, determination and consensus). In Nahj al-Balaghah, insight into action and its consequences is mentioned as the first stage of this process, ie cognition. The second stage of issuing a moral act includes emotional components such as passion, fear, desire, desire and love, and the third stage is determination, decision and will. In Nahj al-Balaghah, based on these three principles, the ways to achieve the recognition of the consequences of action, the methods of realizing positive feelings, as well as the ways of strengthening the inner strength of determination, decision and will are stated. Paying attention to the separation of principles and stages of issuing a verb in moral and religious categories such as repentance, piety, patience, asceticism, etc. can clarify the way to identify various obstacles to the realization of righteous action (moral act) and the method of eliminating them. Educational strategies to strengthen and correct cognition, enthusiasm and determination, and therefore its explanation is essential.

Keywords: Principles of Moral Action, Cognition, Enthusiasm, Determination, Nahj al-Balaghah, Ethics.

Email: zamani108@pnu.ac.ir

المقدمة

الفعل الأخلاقي هو نوع من الفعل الارادى، وهو في الواقع عمل، وبعبارة أخرى فعل ارادى ينقسم إلى أخلاقي وغير أخلاقي. لذلك، في تحليل مصادر الفعل الأخلاقى، وبعبارة أخرى، مبادئه، يجب أن نتوجه الى مبادئ العمل أو الفعل الارادي. فلسفة الفعل (Philosophy of action) هي عنوان فرع جديد فى الفلسفة يشرح طبيعة "العمل" وطريقة تحقيق الفعل الاختياري للإنسان وعوامله. (ذاكرى،١٣٩٤: ٤) كيفية تشكيل الفعل أو عملية إصدار الفعل الاختياري هي إحدى القضايا الرئيسية في فلسفة الفعل، ويمكن استخدام العنوان الفلسفي "مبادئ العمل الإختيارى" بشأنها. تم الطرح ودراسة العديد من قضايا فلسفة العمل، بما في ذلك مبادئ إصدار العمل الإختيارى البشري في أذهان المفكرين المسلمين ضمن موضوعات "علم النفس". من وجهة نظر المفكرين المسلمين، علم النفس هو مناقشة عقلانية وفلسفية حول تعريف النفس وبيان طبيعتها وقواها وغيرها من القضايا المتعلقة بالنفس وكيفية ارتباطها بالجسد. (رضائي، ١٣٩٦: ٤٠) هذه القضايا في كتب الفلاسفة المسلمين أثيرت بشكل رئيسي في الطبيعيات أو القضايا الأولية للمعاد. (صدر الدين الشيرازي، ١٣٦٠: ٢٠٩)

أهمية وضرورة البحث

في هذا المقال، وبحسب المؤلفات الموجودة في هذا المجال، نصف مراحل عملية إصدار الفعل الأخلاقي في نهج‌البلاغة ونحللها. نرى في نهج‌البلاغة تركيزًا خاصًا على دور العمل في الحياة المادية والروحية للإنسان. إن الحسنات مع الإيمان تحدد مصير الإنسان وسعادته (الخطبة: ١٧٢) ولذلك من الضروري تحليل مبادئ إصدار الفعل الأخلاقي وعلاقته بالإيمان. نتيجة هذه الدراسة والتحليل مهمة لأنه يتم توضيح عملية إصدار الحسنات أو الأعمال الصالحة ضد السيئات، كما يتم توفير نظرة أكثر تنظيمًا لكلام الإمام (ع) في هذا الصدد. هذه الدراسة، بالإضافة إلى وصف مكونات تحقيق الحسنات والسيئات، تستخدم أيضًا في التوصية بالحسنات. بالإضافة إلى ذلك، يعرف نوع المعوقات والأمراض التي تؤدي إلى التخلي عن العمل الصالح ويتم تحديد علاج خاص ومناسب للقضاء عليها ورفعها، وبالتالي فهي توثر في مسئلة تهذيب الناس.

خلفية البحث

توجد أبحاث قيّمة حول العلاقة بين الإيمان والعمل وكذلك العلاقة بين العلم والعمل في نهج‌البلاغة (محدثي، ١٣٨٨: ٢٦). لكن لم يتم العثور على بحث حول مبادئ العمل الأخلاقي أو عملية إصدار الفعل من الفاعل، وبالتالي الحاجة إلى البحث عن هذه المسئلة أمر واضح. من أجل تنظيم أفضل، نتوجه أولًا الى موقف المراحل الثلاث في تحقيق الفعل الأخلاقي يعنى الإدراك والشعور والإرادة، من منظور نهج‌البلاغة، ثم نقوم بتحليل خطوات وعملية تحقيق بعض الأعمال الصالحة في هذا الكتاب.

مبادئ إصدار الأفعال

قد نظر العديد من المفكرين المسلمين في مسألة عملية تكوين الفعل أو مبادئ إصدار الفعل، وقد قدم كل منهم آراءه في هذا المجال وفقًا لمبادئه الفكرية الخاصة. يعتبر ابن سينا أن إصدار الفعل هو نتاج فعل القوى الثلاث: ١. المدركه، ٢. الشوقيه، ٣الفاعله. في البداية، يتخيل الإنسان شيئًا ما ويرى أنه مفيد (فعل قوة المدركة) ثم يرغب به (نتيجة قوة الشوقية) وفي النهاية تتحرك القوة المحركة للعضلات نحوه (عمل القوة المحركة). تعتبر ابن سينا قوة الشوقية والفاعلة بمثابة القوى الدافعة، فإن قوى المدركة والقوة الدافعة فعالة فى إصدار الفعل. (ابن سينا، ١٣٦٢: ٣٣/٢) شرح ملاصدرا مراحل إصدار الفعل بطرق مختلفة. وقد لخصها فى بعض آثاره في ثلاث مراحل: ١. الداعى أو الدافع، ٢. الشوق المؤكد ٣. تحفيز الأعضاء (صدرالدين الشيرازى، ١٣٥٤: ١٣٥) ولكنه زادها أحيانًا فى بعض كتبه بمزيد من التفصيل إلى ستة مراحل. (رضائى وهوشنگى، ١٣٩٣: ١٣٥)

في بيانه الأكثر تفصيلًا في هذا الصدد، تشارك مراحل مختلفة فى تحقق الأفعال على التوالي: ١. التصور،

٢. التصديق، ٣. الشوق، ٤. الشوق الموكد، ٥. الإرادة (الإجماع)، ٦. حركة أعضاء الجسم. (صدرالدين الشيرازي، ١٩٨١: ٣٥٤/٦) يتخيل الإنسان أولًا شيئًا ثم يقرّ بفائدته أو بملائمته مع نفسه (مرحلة الإدراك). بعد الإدراك في المرحلة الثانية، تنشأ فيه حالات عاطفية من الميل والرغبة والشوق. وأخيرًا، في المرحلة الثالثة، حيث يشتد شوق الفاعل، أراد الفاعل أن يؤدى الفعل الأخلاقي ويتحرك أعضاؤه للقيام بذلك. لذلك، في تحقيق العمل الأخلاقي، تشارك القوى الإدراكية والشوقية والارادية للإنسان. من منظور ملاصدرا، التصور والتصديق هو ثمره القوة الإدراكية والميل والرغبة والشوق هو نتيجة القوة العاطفية والشوق الشديد والإجماع هو وظيفة القوة الإرادية البشرية في أداء العمل. لذلك يجب التمييز بين مرحلة الميل والرغبة والشوق من جهة، والشوق المؤكّد والإجماع والإرادة من جهة أخرى، لأنه بالرغم من أن الرغبات تلعب دورًا في أداء الأعمال، إلا أن الإنسان ليس خاضعًا لها بل تمتلك الإرادة التي تقاوم الرغبات بها.

مبادئ الفعل

١. القوه المدركة: التصور والتصديق/ التفكر والتخيل
٢القوه الشوقية: الميل/ الرغبه/ الشوق
٣القوه الارادية: الشوق المؤكد/ الاجماع/ العزم

الإدراك والإحساس والإرادة

عمل الإنسان هو ظهور قواه الداخلية وعوالمه. يمكن تلخيص القوى والعوالم الداخلية في ثلاث مجالات: ١. الإدراكات والمعتقدات، ٢. المشاعر والعواطف، ٣. الرغبات والإرادات. وفقًا للبعض، فإن الفرق بين الإدراك والاحساس والإرادة هو أن الإدراك يرتبط بالقوة العلمية للنفس، حين أن الاحساس له جانب انفعالي والإرادة هو الجانب الفعال للنفس البشرية. (مطهري، ١٣٧١: ٦١٤/٦، ٦٢٢) فان قلنا بهذه المراحل في نشأة الفعل: ١. التصور، ٢. التصديق، ٣. الإثارة، ٤. القياس والمقارنة، ٥ – العزم والإرادة، فان الذي يميز عمل الإنسان من الحيوانات هو المرحلتين الرابعة والخامسة.

دور الإدراك في العمل

تجربتنا العامة هي أن العمل البشري يتشكل من خلال معرفتنا. في المقام الأول، يتصور الإنسان الفعل والتدابير ويقر بفوائده وخسائره. ثم، إذا رأى أن هذا الفعل مفيد، فإنه يفعله، وإذا رأى أنه يضرّ به، فإنه لا يفعله: «فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ يكونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يعْلَمَ أَعَمَلُهُ عَلَيهِ أَمْ لَهُ؟ فَإِنْ كانَ لَهُ مَضَى فِيهِ وإِنْ كانَ عَلَيهِ وَقَفَ عَنْهُ» (الخطبة: ١٥٤) في هذا الكلام «البصر» بمعنى البصيرة والمعرفة الصحيحة. (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨: ١٧٨/٩) فأول عامل يرشد الإنسان إلى العمل أو تركه هو علمه بفوائد الفعل ومضاره. يتألف هذا الإدراك عادةً من مرحلتين: ١. تصور الفعل و٢. التعرف على نتائجه للفاعل. بهذه الطريقة، يقوم الفاعل بعمل يراه مفيدًا له، ويرفض القيام بذلك إن كان مضرًا له.

معايير الربح والخسارة

الأمام (ع) نبّه العاقل ذا الفكر السليم الناظر بعين بصيرته على ما ينبغي له أن يبدأ به في حركاته وسكناته وهو أن يتفقّد أحوال نفسه فيما يهمّ به وينبعث في طلبه أو تركه، ويعلم أذلك الخاطر أو تلك الحركة مقرّبة له من الله تعالى فيكون له فينبغي أن يمضى فيها أو مبعّده له عن رضاه ومستلزمة لسخطه فيكون عليه فيقف عنها. ثمّ شبّه الجاهل في حركاته وسكناته بالسائر على غير طريق. (ابن ميثم البحراني، ١٣٦٢: ٢٤٩/٣)

الجاهل كالمسافر الذي ضل طريقه عن الطريق الذي يقوده إلى مقصوده، وبالتالي، كلما أسرع وحاول، ابتعد عن الوجهة والهدف، ونأى عن تلبية حوائجه. «فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيرِ عِلْمٍ كالسَّائِرِ عَلَى غَيرِ طَرِيقٍ، فَلَا يزِيدُهُ بُعْدُهُ عَن الطَّرِيقِ الْوَاضِح إِلَّا بُعْدًا مِنْ حَاجَتِهِ، والْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِح» (الخطبة:١٥٤) لذلك، يجب على كل فاعل أن يقوي قوة التعرف والتشخيص بفائدة العمل الذي يختاره وبضرره، من أجل معرفة أنه كان على طريق التقدم والوصول إلى الهدف، أو الرجوع. «فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ أَ سَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ» (الخطبة:١٥٤)

مصادر المعرفة

من وجهة نهج‌البلاغة، لا نقتصر فى معرفة الفعل وتصوره

والتصديق بفائدته على مصدر واحد، لأنه يمكن الحصول عليه من عدة مصادر، والمعرفة التي تتم الحصول عليها من كل واحد من هذه المصادر يمكن أن تلعب دورًا محفزًا في اختيار الفعل بتوسط عامل فعال. يمكن تلخيص المصادر الرئيسية للإدراك في ١. الحس والتجربة، ٢. الفكر، ٣. المعرفة الشهودية، ٤. الإدراك الوحياني.

من الواضح، في المقام الأول، أن الإنسان يواجه العالم بحواسه ويدرك الأشياء التي تتوافق مع نفسه وتتعارض معها بهذه الطريقة. الإدراك الحسي يعتبر في نهج‌البلاغة، من العطايا الإلهية على الإنسان: " فَمَثُلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا وفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا وجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا وأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا ومَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ والْبَاطِلِ والْأَذْوَاقِ والْمَشَامِّ والْأَلْوَانِ والْأَجْنَاسِ مَعْجُوناً بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ والْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ والْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ والْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ مِنَ الْحَرِّ والْبَرْدِ والْبَلَّةِ والْجُمُودِ". (الخطبة: ١)

المصدر الثاني للإدراك بعد الحواس هو العقل. يمثل العقل مستوى من الحقيقة لا تستطيع الحواس ادراكها بأي حال من الأحوال. العقل يرادف الفهم وهو يستعمل ضد الجهل والغباء. (الخطبة: ١٩٩ والحكمة: ٣٨ و٥٤) لقوة العقل في الإنسان وظائف مختلفة، منها: ١. معرفة الله، ٢. معرفة المعاد، ٣. معرفة العالم، ٤. معرفة الدين وأوامره و٥. التعرف على الأفعال وعواقبها. (معارف وقاسمي، ١٣٩٦: ٣١٧.٣٢٧) يقول الإمام (ع): «كفاك مِنْ عَقلِك ما أَوْضَحَ لك سُبُلَ غَيّك مِنْ رُشدك» (الحكمة: ٤٢١). يقول الإمام (ع) في تعريف الشقى والشرير: «فَإِنَّ الشَقِيّ مَنْ حَرُمَ نَفعَ ما أُتِيَ مِنَ الْعَقلِ والتّجربه» ويقول في موضع آخر: "اِنَّ أغنَى الغِنا العَقل" (الحكمة: ٣٨).

الإيمان يوصف في نهج‌البلاغه بنوع من المعرفة القلبيه: «الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ» (الحكمة: ٢١٨) هناك افكار كثيره حول حقيقة الإيمان، ولكن نظرا إلى مراتب الإيمان، يمكن القول بأن الإيمان اعتراف صريح من القلب دون إكراه أو ممانعة، ويظهر في جميع جوانب الوجود البشري، بما في ذلك أفعاله وأقواله. (الراغب الاصفهانى، ١٤١٢: ١/٤٨٠) يمكن للانسان معرفة الله بالعين الظاهره بل بالإقرار الصادق بحقائق الإيمان: «لَا تُدْرِكهُ الْعُيونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعيانِ ولَكنْ تُدْرِكهُ الْقُلُوبُ بِحَقَّائِقِ الْإِيمَانِ» (الخطبة: ١٧٩) والمقصود هنا من القلب هو قوة الإدراك. يعتبر بعض المفسرين أن هذه المعرفة هي نتيجة الإثبات والحجة (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧: ١٠/٦٤)، لكن بعضهم يعتبره نوعًا من الشهود المباشر والبصيرة أو الكشف الكامل. (خوئي، ١٣٥٨: ١٧/٣١٩).

المصدر الثالث للمعرفة فائدة الأمور وفهمها هو الوحي: «واعْلَموا أَنّ هذا القرانَ هُو النّاصح الَّذى لايَغُشّ والْهادى الَّذى لا يُضِلّ والمحدّث الَّذى لا يكذب وما جالَسَ هذا القرانَ أَحَدٌ إلاّ قامَ عنه بزيادةٍ أَوْ نُقصانٍ، زيادةٌ فى هدىً ونقصانٌ مِنْ عَمىً» (الخطبة:١٧٥)

الدور التحفيزي للإيمان واليقين في تحقيق الفعل الأخلاقي

لماذا لا نقوم أحيانا بعمل مع أننا نعلم بأنه يحسن وذو مصلحة؟ الجواب هي أنه لا يحتوي بعض مراتب الإدراك على دافع كافٍ لأداء عمل أخلاقي، ولكن الدور التحفيزي للإدراك يتحقق عندما يرتقى إلى العلم اليقينى. بعبارة أخرى، ما يدعو الفاعل على فعل الخير هو المعرفة اليقينيه، الذي يُفسر أيضًا على أنه إيمان. يقال أن الشخص يفعل شيئًا عندما يؤمن بلزومه، وهكذا يلعب الإيمان دورًا تحفيزيا للفاعل. الإيمان أمر باطني والعمل أمر ظاهري. بعبارة أخرى، إنه ادراك قلبى صريح لا ترديد فيه، ويشمل نطاقه جوانح القلب وقوى النفس الإنسانيه وحالاتها: «الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ». (الحكمة:٢١٨)

لكن يتم تنفيذ العمل مع الأعضاء البشرية والجوارح الجسمانية. لذلك، وخلافًا لرأي المعتزلة (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨: ١٩/٥١)، فإن العمل لا تدخل في تعريف الإيمان وإذا ورد في بعض كلمات الإمام (ع) في تعريف الإيمان، العمل في حد المعرفة، فهذا يعني أن الفعل من ضرورات الإيمان وثماره، وليس أنه متضمن في معنى الإيمان وطبيعته. هكذا في «الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وإِقْرَارٌ

بِاللِّسَانِ، وعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ» (الحكمة: ٢٢٧) لا يعني أن العمل بأعضاء الجسم أو الاعتراف اللفظي داخل فى تعريف الإيمان وحقيقته، ولكن يكون كنتيجة الإيمان وثمرته. «الايمان شجره ... ثمرتها السخاء». (الآمدى، ١٣٦٦: ١٢٤/١)

إن استعمال كلمة الإيمان مع اللبّ والعقل والبرهان والحكمة والوحي في نهج‌البلاغة يظهر المكونات المعرفية للإيمان. هذه المكونات تصل فى مرحلة اليقين إلى ذروتها. وبالتالي فإن أعلى مراتب المعرفة الإيمانيه هو اليقين الذي لا مجال فيه للشك والريبة والخطأ.

من منظور نهج‌البلاغة، فإن الصلة بين الإيمان والعمل تتحقق من خلال نوافذ الإحساس والإرادة. الإيمان ليس مجرد مسألة معرفية وإبستمولوجية لا يمكن تفسيرها فيما يتعلق بالفعل، ولكن نطاق الإيمان يشمل القوى العاطفية والإرادية للإنسان، وبالتالي لها علاقة متبادله مع الفعل. فبالإضافة إلى المعرفة والبصيرة، الإيمان يشمل الشوق (الإحساس) من جهة، ومن جهة أخرى يشمل الاختيار والعزيمة (الإرادة). يوثر العمل من خلال نفس النوافذ في الإيمان ويقويها أو يضعفها: «فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ وبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيمَانِ» (الخطبة:١٥٦) إن القيام بالأعمال الصالحة يزيد فى المعرفة واليقين والعاطفة والحب، وكذلك الإخلاص والالتزام بمتلكات الإيمان. لذلك فكما أن العمل الصالح (الإحسان) ينشأ من الإيمان: «فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ وفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ» (الخطبة:٢) تساهم الأعمال الصالحة أيضًا في حياة الإيمان وخصوبته.

شروط لاستخدام الفكر في التعرف على الفعل الأخلاقي

يتطلب استخدام قوة الإدراك كمصدر أولي لأداء العمل الأخلاقي، استيفاء شروط وتحقيق لوازم. في المقام الأول، تتطلب قوة الفكر والتفكير في التعرف على فوائد ومضار الفعل والتصديق بها (الانتباه إلى نتائج وعواقب الأفعال) وبالتالي تحتاج إلى الرجوع إلى التجارب السابقة. يجب على من أراد التشخيص الصحيح للأعمال الصالحة أن يلتفت إلى عواقبها في الماضي وأن يتعلم منها حتى يصل إلى هدفه بشكل واضح: «فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكرَ ونَظَرَ فَأَبْصَرَ وانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ ثُمَّ سَلَك جَدَدًا وَاضِحًا» (الخطبة:١٥٣) معني كلمة «جدد»، الطريق الصحيح أو الصراط المستقيم. (ابن ميثم البحراني، ١٣٦٢: ٢٤٢/٣) من خلال الاستماع إلى النصيحة والتوجه إلى التجارب السابقة يمكننا أن نهتدى إلى الطريق الصحيح. "مَنِ اعتَبَرَ أَبْصَرَ" (الحكمة: ٢٠٨) لذلك، فإن التعرف على فوائد ومضار الأفعال ليس مسألة ذوق شخصي، ولكنه يتطلب مقارنة بين الأساليب وأنماط السلوك المختلفة. (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨: ٢٨/١٩): الإمام (ع) يعتبر لليقين أربع قواعد: «تَبْصِرَةِ اَلْفِطْنَةِ وتَأَوُّلِ اَلْحِكْمَةِ ومَوْعِظَةِ اَلْعِبْرَةِ وسُنَّةِ اَلْأَوَّلِينَ فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي اَلْفِطْنَةِ تَأَوَّلَ اَلْحِكْمَةَ ومَنْ تَأَوَّلَ اَلْحِكْمَةَ عَرَفَ اَلْعِبْرَةَ ومَنْ عَرَفَ اَلْعِبْرَةَ فَكَأَنَّمَا عَاشَ فِي اَلْأَوَّلِينَ.» (الحكمة:٣١) لذلك، حصول المعرفة المفيدة بالإضافة إلى قوة الفهم والذكاء، يستلزم الاستفادة من خبرة الأمم الماضية والتعلم من القادة الروحيين. (الخوئي، ١٣٥٨: ٢٧٩/٢١)

حدود الادراك

العوامل المختلفة تؤثر فى البصيرة الباطنية للشخص وتضعف قوته. يمكن تقسيم هذه العوامل إلى: ١. الشرائط البيئية و٢. العوامل الداخلية. على سبيل المثال، في ظروف الفتنة، الغبار الناجم عنها والعداوة، يمنع من معرفة الصواب من الخطأ، ويصعب التمييز بين نوع العمل الذي يمكن القيام به للوصول إلى الكمال النافع: «...يبُثُّ الْفِتَنَ فيها فَلَا يبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ يمُوجُونَ فيها مَوْجًا». (خطبة: ١٦٤) في مثل هذه الظروف، يوصى بترك الافعال التي يسيء إليها الآخرون: «كنْ فِي الْفِتْنَةِ كابْنِ اللَّبُونِ، لَا ظَهْرٌ فَيرْكَبَ ولَا ضَرْعٌ فَيحْلَبَ» (الحكمة:١)

بالإضافة إلى الظروف البيئية، يمكن للعوامل الداخلية أيضًا أن تضعف بصيرة الشخص وإدراكه. ترجع هذه العوامل الداخلية إلى مجالين من المشاعر والإرادة الإنسانية: الملذات والميول والأهواء الجسدية في ساحة المشاعر والشوق والرغبات في ساحة الإرادة عوامل خطيرة تمنع الرؤية البشرية. ويشير الإمام (ع) إلى كليهما في حديث،

ويعبّر عن خوفه منهما: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيكُمُ اثْنَتَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى وطُولُ الْأَمَلِ» (الخطبة: ٢٨ و٤٢) إن إتباع أهواء النفس يمنع الإنسان من طريق الحق وطول الأمل ينتج إهمال الآخرة، ويودى هذين السقوط في دوامة الخطايا.. (نواب لاهيجي، بي‌تا: ٤٨).

موانع المعرفة

١. فى ساحة الإحساس: الشهوة والاهواء الجسمانية
٢. فى ساحة الإرادة: طول الأمل، الحرص

إن الميل والرغبة، اللذان يتجلى في صورتهما الشديدة في شكل الحب والحنان والعشق بالأشياء، يحرمان الإنسان من قوة التمييز ويجعله أعمى وأصمًا: «حُبُّك لِلشَيء يُعمى ويُصِمّ» (المجلسى، ١٤٠٤ ق: ١٦٦/٧٤) الإمام (ع) في الاستعمال الوحيد لكلمة «العشق» في نهج‌البلاغة يوصفها نوعا من العمى ومرض القلب: «مَنْ عَشِقَ شَيئًا أَعْشَى بَصَرَهُ وأَمْرَضَ قَلْبَهُ» (الخطبة:١٠٩) في هذا الكلام، يعتبر الجهل الناتج عن الحب مثل الظلام الذي يحجب بصيرة العقل. (ابن ميثم البحراني، ١٣٦٢: ٦٢/٣) من يرى ببصر غير صحيح ويسمع بأذن صماء يفقد قوة عقله، لأن شهواته تمنع تفكيره الصحيح: «قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ» (الخطبة:١٠٩) فحب الأمور تستعبد الإنسان ويمنع أن توثر النصيحة في قلبه.

و بالتالي، فإن الاجتناب عن الشهوات هو العلاج الوحيد لضعف التشخيص وعمى القلب، الذي يعبر عنها فى المعارف الدينية بلفظة «التقوى»: «فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ وبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ» (الخطبة: ١٩٨). لأن التقوى تقضى على العمى والجهل. (ابن ميثم البحراني، ١٣٦٢: ٤٤٧/٣) وايضا مراعاة العفة تجلب هبة عظيمة من الله وهي قوة التمييز: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾(انفال:٢٩)

دور العامل العاطفي في العمل

بلغة الفلاسفة، بعد مرحلة التصور والتصديق (تصور الفعل والتصديق على عواقبه)، تخلق قوة الشوقيه البشرية حالات في النفس تُفسّر على أنها حماسة ورغبة أو كراهية وخوف. (صدر الدين شيرازي، ١٣٦٦: ٢١٩/٥)

وهكذا، بعد تصور الفعل والتصديق بفائدته أو تلاومه مع النفس، ينشأ الشوق في الإنسان ويريد القيام به، ولهذا السبب فإن هذه الحالة العاطفية هي أيضًا تسمى الرغبة. من ناحية أخرى، إذا وجد أن العمل ضار ولا يتوافق مع الطبيعة، فهو يوجب حصول شعور بالكراهية أو الخوف تجاهه.

في نهج‌البلاغة، تُنسب أحيانًا الحالات المتعلقة بمجال العاطفة إلى القلب، لأن أحد استعمالات كلمة القلب في هذا الكتاب يعني مركز العواطف ومحور الإحساسات البشرية. ومن الأمثلة على هذه الإحساسات: العطف: «فَإِنَّ عَطْفَك عَلَيهِمْ يعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيك » (الرسالة:٥٣)، الرحمة: «وَ أَشْعِرْ قَلْبَك الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيةِ والْمَحَبَّةَ لَهُمْ» (همان)، الحزن: «الْمُؤْمِنُ بِشْرُهُ فِى وَجْهِهِ وحُزْنُهُ فِى قَلْبِهِ» (الحكمة:٣٣٣)، القيح: «لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِى قَيحًا» (الخطبة:٢٠٥)، الخوف: «وَ احْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ» (الرسالة:١٨)، الخشوع: «خَاشِعًا قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ» (الخطبة:١٩٣) والمحبة: «قُلُوبُهُمْ إِلَيك مَلْهُوفَةٌ» (الخطبة:١٩٣)

يتم تقييم هذه الحالات العاطفية بناءً على مدى قربها من وصول الشخص إلى الكمال المنشود. نشير فيما يلي بعض الأمثلة على هذه المشاعر ودورها في عملية تحقيق الأفعال.

الشوق إلى الثواب الإلهي: إذا نظر الإنسان بقلبه إلى المشاهد التي تصورها آيات القرآن من الجنة وثواب الآخرة، فإن شتلات الشوق ستزهر فى باطنه بحيث ينفصل النفس عن بدنه: «فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَك ... لَزَهِقَتْ نَفْسُك شَوْقًا إِلَيهَا» (الخطبة: ١٦٥) وقوله: فلو شغلت قلبك. أى أخذت في إعداد نفسك الوصول إلى ما يهجم عليك: أى يفاض عليك من تلك الصور البهيّة المعجبة لزهقت نفسك: أى متّ شوقا إليها. فالشوق هو حاصل معرفة حقائق الأعمال الصالحة ونتائجها. (ابن ميثم البحراني، ١٣٦٢: ٣١٤/٣) إن عظمة الله في قلوب المؤمنين والأتقياء توجب أن يحسبوا غيره بلا قيمة. «فَهُم والجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَاها، فهُم فيها مُنَعّمون، وهُمْ والنّارُ كمن قَد رَاها، فَهُم فيها مُعَذَّبون ....وَ لَوْ

لَا الْأَجَلُ الَّذِی کتَبَ اللَّهُ عَلَیهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِی أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَینٍ شَوْقًا إِلَی الثَّوَابِ وخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ» (الخطبة: ١٩٣) وهو إشارة إلى غاية نفرتهم عن الدّنيا وفرط رغبتهم إلى الاخرة لما عرفوا من عظمة وعده ووعيده، يعني أنّهم بكليّتهم متوجّهون إلى العقبى مشتاقون إلى الانتقال إليها شدّة الاشتياق، لا مانع لهم من الانتقال إلّا الاجال المكتوبة وعدم بلوغها غايتها. وهكذا، فعندما يراجع الأتقياء آيات القرآن المشجعة عليهم، يرون أرواحهم تحدق بها بشوق، وأذا يتلون الآيات التي يخشى فيها الجحيم يسمعون صرخات العذاب الإلهي في آذان قلوبهم، ويرونه أقرب إلى أنفسهم من أي شيء آخر. (الخوئي، ١٣٥٨: ٤٠١/٤)

رغبة القلب: كل إنسان، لأسباب مختلفة، مثل الحاجات الجسدية والنفسيه، يبدي رغبة في الأشياء أو ممانعة ومقاومة. إن فهم هذه العواطف ودورها الإيجابي والسلبي للنجاح في القيام بالأعمال الصالحة والسيئة أمر ضروري: «إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وإِقْبَالًا وإِدْبَارًا، فَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وإِقْبَالِهَا، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أُکرِهَ عَمِی» (الحكمة: ١٩٣) دور الرغبة في العمل واضح لأنه لا يمكن توقع أن يقوم به الفاعل إلا عندما يكون هذا الشوق موجودًا. كما أن أداء العبادات يكون ذا قيمة عندما يقام على الرغبة والبهجة لا على الملل والكسل. «وَ نَشَاطًا فِی هُدًی» (الرسالة:٣١) يصف الله المنافقين على هذا النحو: «وَإِذَا قَامُوا إِلَی الصَّلَاةِ قَامُوا کسَالَی» (نساء: ١٤٢) في نهج‌البلاغة أيضًا، يعتبر الملل والكسل وإرهاق النفس، داء طبيعيًا كإرهاق الجسد، يجب أن يعالج بالحكمة: «الْقُلُوبَ تَمَلُّ کمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ [الْحِکمَةِ] الْحِکم » (الحكمة: ٩١)

الشهوات: أميال النفس تمنع الشوق والرغبة في الوصول إلى الجنة، وتسمى الشهوات: أصل الشهوات هو الرغبة في تحصيل الثروة: «الْمَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ» (الحكمة: ٥٨) بالرغم من أن الإنسان يحتاج إلى الثروة فى بقاء حياته، إلا أن الحرص والرغبة في تحصيلها يمنعانه من بلوغ الكمال. (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨: ١٩٣/١٨) الرغبات المادية والشهوات قوية تغلب على أكثر الناس: «وَ صَرِیع الشَّهَوَاتِ» (الرسالة:٣١) لأن الشهوات، كما قيل، تحرم الإنسان من قوة العقل وقوة التمييز: «قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ» (الخطبة:١٠٩) فإن شرط تحقيق السعادة الحقيقية هو التجنب عن الأسر في الشهوات، وهو ما يمكن تحقيقه من طريق المجاهده ضد الأنانية: «وَ أَمَرَهُ أَنْ یکسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ ویزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ» (الرسالة:٥٣) الأنانية هى دافعة تقود الإنسان إلى الشر ولذلك تقوده إلى فعل الخطأ: «فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ» (همان)

ما يشار إليه في لغة الدين على أنه شهوة هو من أصناف حب الذات. الحب هو أحد الأحساسات والعواطف الأساسية. في نهج‌البلاغة حُبُّ الدنيا هو ضدّ محبة الآخرة. حب الدنيا هو نتيجة لسحرها وجمالها الظاهر. الدنيا يخدع الإنسان الجاهل بحقيقتها، أما الرجل الحكيم الذي يتذكر بحقيقة هذا العالم وعدم ثباته ودوامه، فلا ينخدع به ولا يدخل حب الدنيا في قلبه. (المغنية، ١٣٥٨: ٣٨٩/٢) «مَثَلُ الدُّنْیا کمَثَلِ الْحَیةِ لَینٌ مَسُّهَا والسُّمُّ النَّاقِعُ فِی جَوْفِهَا یهْوِی إِلَیهَا الْغِرُّ الْجَاهِلُ ویحْذَرُهَا ذُو اللُّبِّ الْعَاقِلُ» (الرسالة: ٦٨) أفضل طريقة لدفع حب العالم من القلب هو الانتباه إلى عدم ثبات العالم وتحول أفراحه وأحزانه.

طبعًا في نهج‌البلاغة أحيانًا يمدح الدنيا ويحرم إدانته لأن الحكم على الدنيا يبتنى على نوع النظرة الإنسانية إليه. إذا نظر المرء إلى ظاهر الدنيا ويعجز عن فهم حقيقته، فإنه يصبح أعمى، ولكن إذا نظر إلى حقيقة الدنيا، فإن الدنيا يجعله بصيرا بكل أنواع النصائح والعبر التي لديه: «مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ ومَنْ أَبْصَرَ إِلَیهَا أَعْمَتْهُ» (الخطبة: ٨٢) في هذا الخطاب الذي كان في أوج البلاغة، يتم التمييز بين نوعين من النظرة إلى الدنيا: وجهة نظر ترى العالم كأداة للسير وسلم للسلوك إلى الكمال، ووجهة نظر تضعها منتهى آماله. (الخوئي، ١٣٥٨: ١٩٢/١) والثانية: أن ينخدع بظاهر الدنيا وأصل كل الذنوب: «حُبُّ الدُّنْیا رَأْسُ کلِّ خَطِیئَة» (الكلينى،١٣٦٥: ١٣٠/٢).

الكراهية: الكراهية هي نقيض الحب، أي الشعور

بعدم الرضا والميل. (قرشی بنابی، ۱۳۷۷: ۲/۹۰۰) لذلك، في عملية إصدار الفعل الأخلاقي، لا يفعل المرء ما يكرهه ويتردد في فعله، إلا إذا كان هناك عامل عاطفي أو إرادي أقوى مثل الصبر يدفعه لذلك: «الصَّبْرُ صَبْرَانِ، صَبْرٌ عَلَى مَا تَكرَهُ، وصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُ» (الحكمة: ٥٥) وفقًا لنهج‌البلاغة، يمكن أن يكون حب الإنسان للأشياء وكراهيته معيارًا لسلوكه مع الآخرين، وهو ما يُفسّر على أنه «القاعدة الذهبيه»: «اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وبَيْنَ غَيرِكَ فَأَحْبِبْ لِغَيرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ واكرَهْ لَهُ مَا تَكرَهُ لَهَا...» (الرسالة: ۳۱) القاعدة الأخلاقية «عامل الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك» تعرف في الأحاديث الإسلامية بقاعدة الانصاف، وتشتهر في المكاتب الأخلاقية المعاصرة باسم «القاعدة الذهبية» (گنسلر،۱۳۸۵:۱۹۳)

الخوف: الشعور بالخوف يؤدي إلى الإقلاع والامتناع عن فعل الأشياء. من منظور نهج‌البلاغة، يمكن أن يكون للخوف أسباب ارادية وغير إرادية. معنى الخوف في مناقشة مبادئ العمل الأخلاقي هو الخوف الذي ينشأ من إدراك عواقب الفعل. إذا كان الخوف ناتجًا عن التشخيص الصحيح، فيكون ذا قيمة وإلا فإنه سيكون ضد الأخلاق: «مَنْ خَافَ أَمِنَ» (الحكمة: ۲۰۸). إن مخافة الله تؤدي إلى سلامة عذاب يوم القيامة. (ابن أبي الحديد، ۱۳۷۸: ۱۹/۲۸) إذا كان الإنسان، في تصور الأفعال وإدراك عواقبها، يدخل في الاعتبار أيضًا عواقب حياة الآخرة، فإن مشاعره تجاههم ستتغير. وهكذا، في الحسابات العادية، قد يحبّ شيئًا ما ويكون مستعدًا لفعله، ولكن وفقًا لعواقب الآخرة، قد يخشى فعل ذلك: «اذْكُرُوا انْقِطَاعَ اللَّذَّاتِ، وبَقَاءَ التَّبِعَاتِ» (الحكمة: ٤٣٣) فالخوف شعور يتبعها حفظ النفس وردعها.

دور الإرادة في العمل

في شرح مبادئ العمل الأخلاقي تقع الإرادة في المرحلة الثالثة، بعد مرحلتين الإدراك والإحساس. كما ذكرنا، أشار الفلاسفة المسلمون الى هذه المرحلة بتعبيرات مختلفه مثل العزم والشوق المؤكد والإرادة والإجماع. الفلاسفة المسلمون يؤكدون على الاختلاف بين الميل والإرادة في شرح كيفية التمييز بين هذه المرحلة وبين مرحلة العاطفة. وبالتالي، فإن وجود أصل ثالث في مبادئ العمل الأخلاقي يبتنى على قبول الإرادة كقوة مستقلة عن الميل. إن قبول هذه القوة هو الذي يحدد الاختلاف الرئيسي بين الفعل الأخلاقي والفعل الجبري. لا يعتقد المجبرة (Determinists) بوجود قوة الإرادة فى الإنسان أو يعتبرونها قوة ظاهرية فرعية لقوة الإدراك والرغبة، وهى نظرية تُعرف باسم "نظرية المعتقَد/الميل" وأشهر فيلسوف دافع عنها دافيد هيوم (David Hume) الإنجليزي. (ملك ناوتن، ۱۳۹۱: ۳۱)

هناك آراء مختلفة حول النسبة بين الميل والإرادة. القائلون بالفرق بينهما قدموا أيضًا تفاسير مختلفة فى بيان الاختلاف بينهما. يعتقد القائلون باستقلال قوة الإرادة أن وجودها في الإنسان أمر بديهي، ويقولون أن ابتناء الفعل الأخلاقي عليها مسألة طبيعية. شرح بعض المفكرين الفرق بين الميل والإرادة بطريقة يجعل الميل هو الانجذاب إلى أمر خارجي، لكن الإرادة تنشأ عن باطن الإنسان. الإنسان، بعد محاسبة عواقب الأفعال، يختار بعضها. (مطهري، ۱۳۷۱، ۲۲/٤۹۲) حسب كلمات الامام على (ع) في نهج‌البلاغة، يمكن التفريق بين قوة الإرادة والميل وشرح دور كل منهما في تحقيق الفعل الأخلاقي.

كرامة النفس والشهوات: من وجهة نظر نهج‌البلاغة، من يرى لنفسه كرامة وقيمة، تظهر الشهوات في عينه مذلة: «مَنْ كرُمَتْ عَلَيهِ نَفْسُهُ، هَانَتْ عَلَيهِ شَهَوَاتُهُ» (الحكمة: ٤٤٩) في هذا الكلام، يعتبر إتباع الشهوة ضدا لكرامة النفس. (ابن ميثم البحراني، ۱۳٦۲: ٥/٤٥۷) وهكذا يرى الإنسان تعارضا بين كرامته وبين إتباع الرغبات والميول المادية، فإذا تفطن بأن اتباع الشهوات وإشباع شهواته الجسدية أذلته، يصارع معها. بمعنى آخر، سيكون هناك في باطن الإنسان مشهد صراع بين قوتين: ۱. من ناحية، فإن قوة الشهوات والرغبات تدفعه إلى فعل شيء ما، و۲. من ناحية أخرى، العزيمة تمنعه من فعل ذلك. بالنتيجة، بالإضافة إلى الرغبات، تشارك قوة أخرى في مبادئ العمل الأخلاقي، التى تعبَّر عنها بالعزم والاراده

من منظور نهج‌البلاغة، فإن من يعتبر نفسه عزيزًا لا يترك نفسه في دوامة الشهوات. قال الامام (ع): «أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ؟ فَلَرُبَّمَا تَرَى الضَّاحِيَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ، أَوْ تَرَى الْمُبْتَلَى بِأَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ، فَمَا صَبَّرَكَ عَلَى دَائِكَ وجَلَّدَكَ عَلَى مُصَابِكَ وعَزَّاكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ، وهِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ؟ وكَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ وقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ؟» (خطبة: ٢٢٣).

قوة الإرادة وضعفها: من أهم القضايا في الحياة الأخلاقية للإنسان هو الضعف الأخلاقي، يعني أنه في كثير من الحالات يعمل الفاعل الأخلاقي بشكل مخالف لمعتقداته؛ على سبيل المثال، يعمل ما يعتقد أنه شر ويتخلى عن ما يعتقد أنه خير، وما يسمى بالأفعال المخالفة لحكمه الأخلاقي. لقد كانت فلاسفة الأخلاق ينظرون بهذه المسألة منذ بداية تاريخ الفلسفة، وقد اتخذ كل منهم موقفًا من إمكانها وكيفية إبتنائها على مبادئها. (مك‌ناوتن، ١٣٩١: ١٦٧) في نهج‌البلاغة بعد التصريح بإمكان الضعف الأخلاقي، وهو من أنواع ضعف الإرادة، فقد ذكر شرحه وعلاجه. "الفترة" و"الوهن" كلمات تعني ضعف الإرادة وتعتبر عاملًا من عوامل عدم الالتزام الأخلاقي: «فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ الْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ» (الخطبة: ٢٢٣)

«فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِهِ والْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ» (الخطبة: ١)

و بالتالي، إضافة إلى ضعف الإدراك الذي يظهر في أمور مثل الإهمال والشك، فإن ضعف الإرادة هو أيضًا سبب مهم للسقوط الأخلاقي. يشتد الصراع بين الرغبات والإرادات فى اتباع طريق العبودية: «لَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ ووَلِيمَةٌ» (الخطبة: ٢٤١) معنى "العزيمة" قوة الإرادة والجهد، ومعنى "وليمة" التمتع بغير احتمال المشقة والصعوبة. بعبارة أخرى، يصعب الوصول إلى الفضائل. تحقيق الفضائل فى نفس الانسان تطلب قوة العزيمة لا تتوافق مع الاستسلام للرغبات. (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨: ١٤٤/١١)

بحسب تعاليم القرآن الكريم، لا يمكن تحقيق الخير والسمو إلا بتجنب الإنسان عما يحب ويرغب: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل‌عمران: ٩٢) قال الإمام (ع): «مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ، لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ» (الحكمة: ٤٤٠) الواصلون إلى مقام الوصال الإلهي وأصحاب الفضائل، أي الأنبياء، تحققوا أهدافًا عظيمة بإرادة قوية: «وَ لَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ» (الخطبة: ١٩٢) إنهم جاهدوا ولم يستسلموا، كما يجاهد أتباعهم في سبيل الله ولا يخافون من التوبيخ: «جَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ولَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ» (الرسالة: ٣١) لأن جهودهم عالية وإرادتهم وإيمانهم قوية: «الْمُؤْمِنُ بَعِيدٌ هَمُّهُ» (الحكمة: ٣٣٣).

في اكثر الاحيان يكون فعل الحسنات أمرًا صعبًا، وعلى العكس من ذلك، فإن ارتكاب المعاصي أو السيئات أمر سهل. من وجهة نظر نهج‌البلاغة، من أجل القيام بعمل صالح، يجب على المرء أن يجاهد أهواء النفس ويقاوم ضدها: «فَرَحِمَ اللهُ امرَءً نَزَعَ عَن شَهوَتِهِ وقَمَعَ هَوى نَفسِه» (الخطبة:١٧٦) والمؤمن لا يبرئ نفسه والأهواء المادية وملذات نفسه ويبتعد عنها، بل يسارع إلى فعل الخير، وبقوة الإرادة والعزيمة يقاوم شهوات النفس: «فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعًا رَادِعًا»(الرسالة: ٥٦)

إن الله تعالى يتفضل برحمته لمن يصارع هواء نفسه ولا يتبع رغباته: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَءًا كابَرَ هَوَاهُ وكذَّبَ مُنَاهُ» (الخطبة: ٧٦) يعتبر بعض الناس العقل كأداة هذا الجهاد لأن العقل يظهر خداع طول الامال. (ابن أبي الحديد ١٣٧٨: ١٧٣/٦) إذا كان هواء النفس يصعب على الإنسان أن يفعل الخير، فعليه أن يقاوم أهواء نفسه ويجاهدها: «إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكرَهُ لَمْ يعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ» (الخطبة:١٩٣)

فى اكثر الاحيان يتردد الإنسان في معركة اتخاذ القرار والاختيار، ويعجز عن التمييز بين الخير والشر. من وجهة نظر نهج‌البلاغة، في مثل هذه الحالات، فإن أحد معايير التمييز هو ان يقدير أيهما أقرب إلى هوى نفسه، حتى يعارضه: «إِذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ، يَنْظُرُ أَيهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَى، فَيخَالِفُهُ» (الحكمة: ٢٨٩) قال الإمام (ع) لمحمد بن أبي بكر إن العمل الصالح، هو عمل تعارض فيه نفسك. (الرسالة: ٢٧) قال (ع): «هَيهَاتَ أَنْ يغْلِبَنِي هَوَاى

ويقُودَنِى جَشَعِى إِلَى تَخَيّرِ الْأَطْعِمَةِ» (الرسالة: ٤٥)

قال الأمام (ع): «شُحَّ بِنَفْسِك عَمَّا لَا يَحِلُّ لَك» (الرسالة: ٥٣) لأن ارتكاب المعصية والفعل الحرام يذيل عقل الإنسان وعدله. (الخوئي، ١٣٥٨: ١٧٣/٦) أدنى إهمال في هذه الحالة يوجب أن تلعب الشهوة دورًا رئيسيًا في تحقيق الفعل: «لَا تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكمْ فَتَذْهَبَ بِكمُ الرُّخَصُ مَذَاهِبَ الظَّلَمَةِ ولَا تُدَاهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكمُ الْإِدْهَانُ عَلَى الْمَعْصِيةِ» (الخطبة: ٨٦)

عملية إصدار الحسنات والسيئات

بذلك يمكن تصوير عملية إصدار الحسنات في نهج‌البلاغة على النحو التالي:

١. التصديق بالعظمة الإلهية وحقارة الدنيا (المعرفة والإعتقاد)
٢. الشوق الى الله وتفضله (الشوق والاحساس)
٣. تفضيل العمل الصالح والعزم عليه (العزم والإرادة)
النتيجة: أداء العمل (الطاعة)

في المقابل، توصف مبادئ الأعمال السيئة أو عملية إصدارها على النحو التالي:

١. الإعتقاد بعظمة الدنيا (مرحلة الإدراك)
٢. حب الدنيا ولذّاتها (مرحلة الشوق)
٣. تفضيل الدنيا على الله وطاعته (مرحلة العزم)
النتيجة: فعل المعصية

وقد صرح الإمام (ع) بهذا الترتيب على النحو التالى: «مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيا فِى عَينِهِ وكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى» (الخطبة: ١٦٠) المبادئ الثلاث في هذا الخطاب هي:

١. تعظيم الدنيا والاعتقاد بأن كل الحياة محدود بها: وهي مرحلة الإدراك، أي: أ) تصور الدنيا ولذاتها، ب) التصديق بملائمتها للنفس.

٢. الميل الى الدنيا في قلب الإنسان: وهو الشعور بالحب تجاهه ومن وجهة نظر بعض المفسرين هو سبب الحياة الدنيوية. (ابن ميثم البحراني، ١٣٦٢: ٢٨٤/٣).

٣. تفضيل الدنيا على الله: وهو مرحلة الاختيار والعزم ويتعلق بقوة الإرادة البشرية:

١. التصور والتصديق (من عظمت الدنيا فى عينه)
٢. **الشوق** (كبر موقعها فى قلبه)
٣. **الإجماع والعزم** (آثرها على الله تعالى)
النتيجة: المعصية

الخاتمة والاستنتاجات

من أهم الموضوعات في فلسفة العمل، هو مبادئ العمل الاختياري البشري، وهى التي يمكن تفسيرها على أنها عملية إصدار الأفعال الإرادية البشرية. عبّر الفلاسفة عن آراء مختلفة حول هذا الموضوع وعدّدوا مراحل مختلفة لأداء الفعل الاختياري، ولكن يمكن تحديد هذه المراحل والمبادئ في: ١تصور الفعل والتصديق بفوائده وخسائره، ٢. الإحساس: وهو الشوق (مقابل الخوف) ٣. الإرادة: التصميم والإجماع والقرار الباطنى بالتصرف والعزم. يؤكد نهج‌البلاغة على دور المراحل الثلاث في ظهور الفعل.

يتكون الإدراك من مرحلتين (التصور والتصديق)، وهو المصدر الأول للفعل الأخلاقي. في نهج‌البلاغة تكون البصيرة والمعرفة بالموضوع أنه على دراية كافية بفوائدها ومضارها قبل القيام بالعمل. دون البصيرة، لا يصل الفاعل إلى الهدف، بل يبتعد عنه أيضًا. ليس من السهل التعرف على منافع الأعمال ومضارها، وبالتالي، بالإضافة إلى التفكير، ينبغي للمرء أن يستخدم الخبرة السابقة للإنسان ويجدر له أن ينظر هداية الوحي في التعرف عليه. وهكذا، في نهج‌البلاغة، يؤكد الإمام (ع) على التفكير والتعلم فى تجرب الامم الماضيه والاستماع إلى دعوة الأنبياء. يحسن لأإدراك الصحيح أيضًا إزالة الموانع الخارجية والداخلية.

تتعلق المرحلة الثانية من عملية إصدار الفعل الأخلاقي بقوة الشوق والشعور، وهو ما ذكر في نهج‌البلاغة خصائص إنفعالية مثل الرغبة والكراهية والخوف والحب والعشق. يتم تحديد قيمة هذه الخصائص العاطفية من خلال الدور الذي يقوم به في تحقيق أهداف الإنسان وكماله. إذا كانت شغف الشخص ورغباته وحبه للّه وتنبع من المعرفة الكافية والبصيرة، فإن

ذلك يكون ذا قيمة، ومن الناحية الأخرى، إذا تحول إلى الملذات الدنيوية والمصالح المنخفضة والميول المتدنية، فإنه يقوده إلى هاوية التدمير ولا قيمة لها.

على خلاف الآراء التي تقول بالجبر والتعين العلّي، التي لا تعتقد مبدئا إراديا لأفعال الإنسان، في نهج‌البلاغة، يتم التأكيد على دور العزم والإرادة كأحدى مبادئ العمل. وهكذا، بالإضافة إلى قوتي الإيمان والرغبة، من المسلم به وجود قوة داخلية في الإنسان يقدر أن تكون ضد الرغبات والميول الإنفعالية وتعارضها. في بعض الأحيان، لا تجمع قوة العزيمة مع مقتضى قوة الرغبة، بحيث يكون في نهج‌البلاغة، في حالة الشك في الحسنات أو السيئات، تعتبر معارضة الشهوات كمعيار اساسى للتمييز بين الخير والشر.

في أكثر المفاهيم الأخلاقية والموضوعات الدينية، يمكن الفصل بين مبادئ العمل الأخلاقي ومكوناته المعرفية والعاطفية والإرادية. إن الاهتمام بمبادئ التقوى والصبر والزهد والتوبة والمحاسبة وغير ذلك، من ناحية، يساعد في بيان مفاهيم هذه الموضوعات، ومن الناحية الأخرى، يرشد الى سبيل ليقوى الشروط والخطوات اللازمة وتحقيقها. وبالتالي، فإن الضعف في تحقيق التقوى والتوبة والصبر وغير ذلك من الموضوعات الأخلاقية يمكن أن يكون له أسباب معرفية وعاطفية وإرادية، يتطلب إزالتها أساليب وعلاجات خاصة. هنا نشير الى بعض الأمثلة:

موانع تحقيق فضيلة التقوى

١. الموانع المتعلقة بساحة الإدراك: عدم الإدراك والنقص فى فهم الصحيح لعواقب الأفعال السيئة.
٢. الموانع المتعلقة بساحة العاطفة: الوقاحة في ارتكاب المعاصي وعدم الحياء والخوف.
٣. الموانع المتعلقة بساحة الإرادة: الوهن وفقد القدرة على ضبط النفس.

موانع تحقيق فضيلة الصبر

١. الموانع المتعلقة بساحة الإدراك: نقص المعرفة بشأن الهدف من الحياة والجهل بدور الأفعال في تحقيقه.
٢. الموانع المتعلقة بساحة العاطفة: النقص فى المشاعر اللازمة مثل الشوق والاشفاق فى الإنسان.
٣. الموانع المتعلقة بساحة الإرادة: عدم القدرة على الزهد والترقب اللازم للإستقامة على الإطاعة.

موانع تحقيق التوبة

١. الموانع المتعلقة بساحة الإدراك: الغفلة من باطن الأعمال القبيحة وعواقبها.
٢. الموانع المتعلقة بساحة العاطفة: عدم الشعور بالندم وعدم الشعور بالألم من المعاصى.
٣. الموانع المتعلقة بساحة الإرادة:: عدم العزم الى ترك المعاصي.

المصادر

القرآن الكريم

الآمدى، عبدالواحد بن محمد تميمى (١٣٦٦) .غررالحكم ودرر الكلم. ١ ج. قم: دفتر تبليغات.

ابن‌سينا، حسين بن عبدالله (١٣٦٢). الشفاء (الطبيعيات). تحقيق ابراهيم مدكور. قم: مكتبة آيت‌الله العظمى مرعشى نجفى.

ابن ابى الحديد، عزالدين ابو حامد (١٣٧٨). شرح نهج‌البلاغة. قم: مكتبة آيت‌الله العظمى مرعشى نجفى.

ابن ميثم بحرانى، ميثم (١٣٦٢). شرح نهج‌البلاغه. قم: دفتر نشر الكتاب.

الخورى الشرتونى، سعيد (بى‌تا). اقرب الموارد فى فصح العربيه والشوارد. بى‌جا.

الخوئى، ميرزا حبيب‌الله هاشمى (١٣٥٨). منهاج البراعة فى شرح نهج‌البلاغة. طهران: مكتبة الاسلامية.

السيد الرضى، محمد بن حسين بن موسى (١٣٧٢). نهج‌البلاغه. ترجمة دكتر سيد جعفر شهيدى. طهران: انقلاب اسلامى.

رضائى، مرتضى (١٣٩٦). مرورى گذرا بر مباحث علم النفس فلسفى. مجله معرفت. ٣٩تا٥١. ش ٢٣٢. فروردين ٩٦.

رضائى، مهران و هوشنگى، حسين (١٣٩٣). فرايند صدور افعال اختيارى انسان. دو فصلنامه معارف عقلى. ١١٥ تا١٣٦. شماره اول، پاييز و زمستان ١٣٩٣. پياپى ٢٩.

ذاکری، مهدی (١٣٩٤). درآمدی به فلسفه عمل. طهران: سمت.

الراغب الاصفهانی، حسین بن محمد (١٤١٢ق). المفردات فی غریب القرآن. دمشق: دارالشامیه.

صدرالدین الشیرازی، محمد بن ابراهیم (١٣٦٦). تفسیر القرآن الکریم. تحقیق محمد خواجوی. قم: بیدار.

صدرالدین الشیرازی، محمد بن ابراهیم (١٣٥٤). المبدأ والمعاد. تصحیح سید جلال‌الدین آشتیانی. طهران: انجمن حکمت و فلسفه ایران.

صدرالدین الشیرازی، محمد بن ابراهیم (١٩٨١م). الحکمه المتعالیة فی الاسفار العقلیة الاربعة. بیروت: دار احیاء التراث.

صدرالدین الشیرازی، محمد بن ابراهیم (١٣٦٠). الشواهد الربوبیة فی المناهج السلوکیة. مشهد، مرکز الجامعی للنشر.

فیروزآبادی، مجدالدین محمد بن یعقوب (١٣٧١ق). القاموس المحیط. قاهره: مطبعة السعادة

قرشی بنائی، سید علی‌اکبر (١٣٧٧). مفردات نهج‌البلاغة. طهران: نشر قبله.

الکلینی، محمد بن یعقوب (١٣٦٥). الکافی. طهران: دار الکتب الاسلامیة.

کنسلر، هری جی (١٣٨٥). درآمدی به فلسفه اخلاق. ترجمة حمیده بحرینی. تهران: آسمان خیال.

المجلسی، محمدباقر (١٤٠٤ق). بحارالانوار. بیروت: موسسه الوفاء.

محدثی، جواد (١٣٨٨). عمل معیار ایمان. فرهنگ کوثر. شماره ٧٨.

معارف، مجید و قاسمی، حامد (١٣٩٦). کارکردهای عقل در نهج‌البلاغه. مجله پژوهشهای قران و حدیث. ش٢، پاییز و زمستان ١٣٩٦. صص٣٣٧-٣١٥.

المغنیة، محمد جواد (١٣٥٨). فی ظلال نهج‌البلاغة. بیروت: دار العلم للملایین.

ملک ناوتن، دیوید (١٣٩١). نگاه اخلاقی. ترجمة حسن میانداری. طهران: سمت.

مطهری، مرتضی (١٣٧١). مجموعه آثار مرتضی مطهری. طهران: انتشارات صدرا.

نواب لاهیجی، میرزا محمد باقر (بی‌تا). شرح نهج‌البلاغة. طهران: اخوان کتابچی.

تحلیل مبادی فعل اخلاقی (شناخت، شوق وعزم) از دید نهج‌البلاغه

مهدی زمانی

تاریخ دریافت: ۱۳۹۹/۰۴/۱۴ تاریخ پذیرش: ۱۴۰۰/۰۳/۱۱

دانشیار فلسفه، گروه الهیات، دانشگاه پیام نور، تهران، ایران

چکیده

در این نوشتار با روش توصیفی - تحلیلی به بررسی مبادی فعل اخلاقی در نهج‌البلاغه پرداخته شده است. مبادی فعل اخلاقی یا فرایند صدور آن از دیدگاه فیلسوفان را می‌توان در سه مرحله خلاصه نمود که عبارتند از ۱ـ شناخت (تصور وتصدیق)، ۲ـ احساس (شوق) و۳ـ اراده (شوق مؤکد، عزم واجماع). در نهج‌البلاغه از بصیرت نسبت به عمل وپیامدهای آن به عنوان نخستین مرحله این فرایند یعنی شناخت یاد شده است. دومین مرحله صدور فعل اخلاقی شامل مولفه‌های احساسی مانند شوق، ترس، میل، رغبت وعشق است وسومین مرحله عزم، تصمیم واراده به شمار می‌آید. در نهج‌البلاغه بر اساس این مبادی سه گانه، راه‌های رسیدن به تشخیص پیامدهای عمل، روش‌های تحقق احساس‌های مثبت وهم‌چنین راهکارهای تقویت نیروی درونی عزم، تصمیم واراده بیان شده است. توجه به تفکیک مبادی ومراحل صدور فعل در مقولات اخلاقی ودینی مانند توبه، تقوا، صبر، زهد و... می‌تواند راه را برای تشخیص انواع موانع تحقق عمل صالح (فعل اخلاقی) وروش از میان برداشتن آن‌ها روشن سازد وبه ارائه راهکارهایی تربیتی برای تقویت واصلاح شناخت، شوق وعزم بیانجامد واز این جهت تبیین آن امری ضروری است.

کلیدواژه‌ها: مبادی فعل اخلاقی، شناخت، شوق، عزم، نهج‌البلاغه، اخلاق.

COPYRIGHTS
© 2021 by the authors. Lisensee PNU, Tehran, Iran. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY4.0) (http:/creativecommons.org/licenses/by/4.0)